الفردوس الأعلى

تأليف
محمد شومان الرملي

الطبعة الثانية
١٤٤٠ هـ

الفردوس الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد، فإن الجنة هي دار النعيم المقيم، والفوز العظيم، ومن أجمع ما ورد في نعيمها قول الله تعالى:

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

فهذا اللفظ ـ كما قال ابن سعدي ـ يأتي على كل نعيم وفرح وقرة عين وسرور قلب، فكل ما تشتهيه النفوس من مطاعم ومشارب وملابس ومناكح، وما تلذه العيون من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مونقة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها مُعَدّ لأهلها على أكمل الوجوه وأفضلها.

وقوله عز وجل: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١).

---

(١) متفق عليه.

وأشرف الجنة قدرًا، وأرفعها درجة: «الفردوس الأعلى»[1]، وهو عنوان هذا المؤلف المفيد، إن شاء الله تعالى.

وإنما اخترت الكلام في هذا الموضوع تنبيهًا للمقصرين، وإيقاظًا للغافلين، وتذكيرًا لهم بما يفوتون على أنفسهم، ويحرمونها بسبب غفلتهم، من اللذات الباقية، والشهوات الدائمة،

---

(١) «تنبيه»: وفي الجنة درجة تسمى «الوسيلة»، وهي أعلى الجنة وأعظم منازلها على الإطلاق، فهي أعلى الفردوس الأعلى، ولا تنبغي إلا لرجل واحد، ألا وهو رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». أخرجه مسلم (٣٨٤) وغيره.

ثم وجدت المناوي يقول في «الفيض» (٣٦٨/١): «الفردوس أعلى الجنة، وفيه درجات، أعلاها «الوسيلة»، ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض».

وقال ابن القيم في «الحادي» (ص ١٠٨): «سميت درجة النبي ﷺ «الوسيلة» لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله، وأصل اشتقاق لفظ «الوسيلة» من القرب، وهي فعيلة من وَسَل إليه، إذا تقرب إليه. قال لبيد: بلى كل ذي رأي إلى الله واسل. ومعنى «الوسيلة»: من الوصل، ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نورًا».

في النعيم السرمدي، والسرور الأبدي.

وحثًّا لأهل اليقظة والهمة العالية، على تطلّع المنازل الغالية الشريفة، واستشراف الدرجات العالية المنيفة، ببذل الجهد في طاعة الله تعالى، والمسابقة إلى مغفرته، واستفراغ الوسع في تحصيل محابه ومراضيه، والتوجه بمجامع الهمة إليه، للفوز بقربه، ونيل الزلفي لديه.

فهذا والله أحق ما صُرفت فيه نفائس الأنفاس، وأعلى ما تنافس فيه الفطناء الأكياس.

فـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:٣٥].

نسأل الله ذا الفضل العظيم، أن يجعلنا من هؤلاء، في زمرة من أنعم عليهم، ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩].

وكتب: محمد شومان

عمّان / ١٤١٣هـ

فصل

في معنى لفظ «الفردوس»

قال الزجاج[1]: «حقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك».

وقال ابن الأثير في «النهاية»: «هو البستان الذي فيه الكرم والأشجار، والجمع فراديس».

وقال ابن القيم[2]: «الفردوس»: «اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات. وأصل «الفردوس»: البستان، والفراديس: البساتين. قال كعب: هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال الليث : «الفردوس»: جنة ذات كروم، يقال : كرم مفردس؛ أي: مُعَرَّش. وقال الضحاك : هي الجنة الملتفة بالأشجار. وهو اختيار المبرد، وقال: «الفردوس» فيما سمعت من كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب، وجمعه: الفراديس، قال: ولهذا سُمّي باب الفراديس بالشام، وأنشد لجرير:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٣/٣١٥).

(٢) «حادي الأرواح» (ص ١٢٣).

فقلت للركب إذا جد المسير بنـا   يا بعد بيرين من باب الفراديس

فصل

وجاء لفظ «الفردوس» في القرآن الكريم في آيتين فقط:

الأولى: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف:١٠٧].

وقال السعدي في تفسيرها: «يحتمل أن المراد بجنات الفردوس أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، وأن هذا الثواب لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، وهم الأنبياء والمقربون، ويحتمل أن يراد بها جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب جميع طبقات أهل الإيمان من المقربين والأبرار والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين، لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، وأن الفردوس يطلق على البستان المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة ، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي ضيافة أجل وأكبر وأعظم من هذه الضيافة المحتوية على كل نعيم للقلوب والأرواح والأبدان!

وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة.

وأعلى ذلك وأفضله وأجله التنعم بالقرب من الرحمن، ونيل رضاه الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم.

فلله تلك الضيافة ما أجلها وأجملها وأدومها وأكملها! وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علمًا حقيقيًّا يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانًا، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يُفَوِّتوا أوقاتًا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة وهت، فكان ما كان، فلا حول ولا

قوة إلا بالله العلي العظيم». اهـ.

والآية الثانية: في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

فصل
في عظمة الفردوس الأعلى وأنه سر الجنة وربوتها
وقوله ﷺ: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس»

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ سِرُّ الْجَنَّةِ، يَقُولُ الرَّجُلُ مِنْكُمْ لِرَاعِيهِ: عَلَيْكَ بِسِرِّ الْوَادِي، فَإِنَّهُ أَمْرَعُهُ وَأَعْشَبُهُ»(١).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ح ٦٣٥) بلفظه، والبزار ٣٥١٢ - كشف)، وهو في «صحيح الجامع» مختصرًا برقم (٦٠٦).

قال المناوي[1]: «(فإنه سر الجنة)، بكسر السين وشد الراء: أفضل موضع فيها، و«السر»: جوف كل شيء ولبه وخالصه، والمراد أنه وسط الجنة وأوسعها وأعلاها وأفضلها».

وقال ابن القيم[2]: «الجنة مقببة، أعلاها وأوسعها ووسطها هو «الفردوس»، وسقفه العرش». اهـ.

وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ[3] وَأَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا، وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[4]

وبمناسبة ذكر قول النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس»، أقول: لقد كان شيخنا التقي النقي، الصوام القوام، الخشاع الذكار، علم الجهاد الشهير، أبو محمد عبد الله عزام كثير اللهج بسؤال «الفردوس الأعلى»، شديد الاعتناء به، لا يدع مناسبة للدعاء إلا ويدعو به ويضيف إليه: اللـهم مكن

---

(١) «فيض القدير» (٣٦٨/١).

(٢) «حادي الأرواح» (ص ٩٥).

(٣) أي: أرفعها، (الربوة) بالضم والفتح: ما ارتفع من الأرض. «نهاية».

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٨٨٦) وغيره. وقال شيخنا في «صحيح الجامع الصغير»: »صحيح«. يعني: لشواهده. انظر: «الصحيحة» (رقم ٢٠٠٣).

للمؤمنين في الأرض، ويسأل الله تعالى الشهادة في سبيله، وإن شاء الله تعالى أنه قد نالها، فقد ظهر عند مقتله بشارات عدة، تدل على حسن خاتمته، فلله دره!

فصل
في أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله وأن الفردوس أعلاها

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا».

قالوا: يا رسول الله، أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦/١١ و١٣/٤٠٤- فتح) وغيره.

قوله ﷺ: (فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة)، قال الطِّيبي[1]: «المراد بأحدهما العلو الحسي، وبالآخر العلو المعنوي».

قال ابن حبان في «صحيحه»[2]: «قوله: (فهو أوسط الجنة)؛ يريد به أن الفردوس في وسط الجنان في العرض، وقوله: (وهو أعلى الجنة)؛ يريد به في الارتفاع».

قال ابن حجر: «وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة، وعظم الفردوس منها، وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة، لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أُعِد للمجاهدين». اهـ

(فائدة): لفظ «الفردوس» مذكر، بدليل قوله ﷺ: «فإنه أوسط...»، «وفوقه ...»، «ومنه تفجر...».

وقال بعضهم: إن الضمير في قوله: «ومنه تفجر أنهار الجنة» راجع إلى الجنة كلها. وقيل: الضمير للعرش، وكلا القولين خطأ ظاهر.

---

(١) انظر: «الفتح» (١٣/٦).

(٢) (٧/٦٤- إحسان).

قال الحافظ[1]: «الضمير للفردوس جزمًا، ولا يستقيم أن يكون للجنان كلها».

وقال أيضًا[2]: «ووهم من زعم أن الضمير للعرش».

وقال الزجاجي في «أماليه»[3]: «أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال : أخبرني أبي قال: حدثني أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: كنت عند الأخفش سعيد بن مسعدة، وعنده التَّوَّزي، فقال لي التَّوَّزي: ما صنعتَ في «كتاب المذكر والمؤنث» يا أبا حاتم؟ قلت: قد جمعت منه شيئًا. قال: فما تقول في «الفردوس»؟ قلت: هو مذكر. قال : فإن الله عز وجل يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١١]! قلت: ذهب إلى معنى الجنة فأنثه، كما قال عز وجل: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام:١٦٠]، فأنث والمِثل مذكر، لأنه ذهب إلى معنى الحسنات. فقال لي: يا غافل! الناس يقولون: نسألك الفردوس الأعلى. فقلت: يا

(١) «الفتح» (١٣/٤١٤)

(٢) «الفتح» (١٣/٦).

(٣) (ص ١١٧-١١٨) باختصار.

نائم! هذا حجتي، لأن الأعلى من صفات الذكران، لأنه أفعل، ولو كان مؤنث لقال: العليا، كما تقول الأكبر والكبرى، والأصغر والصغرى. فسكت خجلًا».

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«فِي الجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً، وَمِنْهَا[1] تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ العَرْشُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ»[2].

و عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال:

«يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها علي يا رسول الله،

---

(١) هذا لا يعارض ما قدمناه من أن لفظ «الفردوس» مذكر، فإن الضمير في قوله: «منها» يعود إلى درجة «الفردوس». نبه عليه الحافظ في «الفتح».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣١) وغيره، وهو مودع في «الصحيحة» برقم (٩٢٢).

ففعل، ثم قال:

«وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

قال: وما هي يا رسول الله؟ قال:

«الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وعن فَضالةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أَنَا زَعِيمٌ(٢) لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ(٣)، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الْجَنَّةِ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٤) وغيره.

(٢) قال أبو حاتم: «الزعيم: لغة أهل المدينة، والحميل: لغة أهل مصر، والكفيل: لغة أهل العراق».

(٣) أي: ما حولها خارجًا عنها. «نهاية».

(٤) أخرجه النسائي (٢١/٦) وغيره، وصححه الألباني.

فصل
في أفضل الجهاد

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الجهاد أفضل؟ قال:

«أَنْ يُعْقَرَ جَوَادُكَ وَيُهَرَاقَ دَمُكَ»[1].

وعن عبد الله بن حُبْشِيٍّ الخَثْعَمِيِّ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سُئِلَ أَيُّ الأعمال أفضلُ؟ قال:

«إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَجِهَادٌ لَا غُلُولَ فِيهِ، وَحَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ».

قيل: فأَيُّ الصلاةِ أفضلُ؟ قال: «طُولُ الْقُنُوتِ».

قيل: فأَيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ قال: «جَهْدُ الْـمُقِلِّ[2]».

قيل: فأَيُّ الهجرةِ أفضلُ؟ قال: «مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ».

قيل: فأَيُّ الجهادِ أفضلُ؟ قال: «مَنْ جَاهَدَ الْـمُشْرِكِينَ

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٠١/٢)، وابن حبان (١٦٠٨- موارد)، وغيرهما، وقال الألباني في «الصحيحة» (٩/٤): «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٢) أي: قدر ما يحتمله حال من قل ماله.

بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ».

قيل: فأَيُّ القَتْلِ أَشْرَفُ؟ قال: «مَنْ أُهَرِيقَ دَمُهُ، وَعُقِرَ جَوَادُهُ»[1].

قال القاري[2]: «(من أُهريق) بسكون الهاء؛ أي: أُرِيق وسُفِك، (دمه، وعقر جواده)؛ أي: جُرِح فرسُه الجيد في سبيل الله».

قال: «وفي الكلام كنايتان عن قتله وقتل مركوبه، حيث اجتمع له في الاجتهاد في الجهاد، راكبًا وماشيًا، مالًا ونفسًا».

قال الطِّيبي[3]: «ولعل تغيير العبارة في قوله: (فأي القتل أشرف)، إنما كان لاهتمام هذه الخصلة، لأن معنى الشرف هو القدر والقيمة والرفعة، وذلك أن منزلةُ درجة الشهيد الذي نال من درجات الشهادة أقصاها وغايتها هو الفردوس الأعلى، وهذا الشهيد هو الذي بذل نفسه وماله وجواده في سبيل الله».

قال: «وقَطْعُ عقب الجواد كناية عن غاية شجاعته، وأنه كان مما لا يطاق أن يُظْفَر به إلا بعقر جواده».

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٢٥ و١٤٤٩)، والنسائي (٥/٥٨ و٩٤/٨)، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٢) «المرقاة» (٣٩٦/٧).

(٣) «الكاشف عن حقائق السنن» (٢٩٦/٧).

فصل
في ذكر الشهيد الممتحن

عن عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَمِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ:

«الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ».

قال النبي ﷺ فيه: «فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْـمُمْتَحَنُ[1]، فِي خَيْمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ، لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ».

«وَمُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ».

قال النبي ﷺ فيه: «مُمَصْمِصَةٌ[2] مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ».

«وَمُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَإِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَاكَ فِي النَّارِ، إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ»[3].

---

(١) هو المُصَفَّى المُهَذَّب، مَحَنْتُ الفِضة، إذا صَفَّيْتَها وخَلَّصْتَها بالنار. «نهاية».

(٢) أي: مُطَهِّرة منظفة.

(٣) أخرجه الدارمي (٢٤١١) وغيره، وهو في «صحيح الترغيب» (١٣٧٠).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بنتَ البراءِ (وهي أم حارثة بن سُرَاقَةَ) أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة؟ ـ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ(١) ـ، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال:

«يَا أُمَّ حَارِثَةَ، [وَيْحَكِ! أَهَبِلْتِ؟!] إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»(٢).

فصل

في أن الدرجات العلى ومنازل القرب خاصة بأهل الإيمان والعمل الصالح السابقين بالخيرات المزكين أنفسهم على وجه الكمال

قال الله تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

فمن كان إلى طاعة الله تعالى أسبق كان إليه أقرب،

(١) أي: لا يُعْرَفُ راميه. يقال: سَهْمٌ غَرْبٌ، بفتح الراء وسكونها، وبالإضافة وغير الإضافة. «نهاية». وانظر «الفتح» (٢٧/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦/٦ و٣٠٤/٧ و٤١٥/١١ و٤١٨- فتح) وغيره.

فثواب من سابق بالخيرات، الواجبات منها والمستحبات، أعلى من ثواب من سابق بالواجبات وحدها، ومنازل أولئك أعلى من منازل هؤلاء[1].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه:٧٥-٧٦].

قال السعدي: «ومن يأت ربه مؤمنًا به، مصدقًا لرسله، متبعًا لكتبه، ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، الواجبة والمستحبة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾؛ أي: المنازل العاليات، في الغرف المزخرفات، واللذات المتواصلات، والأنهار السارحات، والخلود الدائم، والسرور العظيم، فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾؛ أي : تطهر من الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إما أن لا يفعلها بالكلية، أو

---

(١) وفي تفصيل هذا انظر ـ إن شئت ـ كتابي «صفات الأبرار والمقربين وثوابهم»، فإنه فإنه نافع مفيد، إن شاء الله تعالى.

يتوب مما فعله منها، وزكّى أيضًا نفسه ونماها بالإيمان والعمل الصالح، فإن للتزكية معنيين: التنقية وإزالة الخبث، والزيادة بحصول الخير، وسميت الزكاة زكاة لهذين الأمرين».

فصل
في أن من حسن خلقه بني له قصر في أعلى الجنة

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:

«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ[1] وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[2].

فصل
في علو منزلة صاحب القرآن وكرامته

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:

(١) (المراء): الجدال، والتماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة، لأن كل واحد منهما يَستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللبن من الضَّرع. «نهاية»

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) وغيره، وحسنه الألباني.

«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٢).

قال الألباني(٣): «اعلم أن المراد بقوله: (صاحب القران) حافظه عن ظهر قلب، على حد قوله ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ»(٤)؛ أي: أحفظهم، فالتفاضل في درجات الجنة إنما هو على حسب الحفظ في الدنيا، وليس على حسب قراءته يومئذ واستكثاره منها، كما توهم بعضهم، ففيه فضيلة ظاهرة لحافظ القرآن، لكن بشرط أن يكون حفظه لوجه الله تبارك و تعالى، وليس للدنيا والدرهم والدينار، وإلا فقد قال ﷺ: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٨٠)، وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) وغيره، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٣) بعض حديث، أخرجه مسلم (٦٧٣) وغيره.

(٤) «الصحيحة» تحت الحديث (٢٢٤٠).

أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»[1].

وقال القرطبي[2]: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم: حملة القرآن وقراؤه هم العاملون بأحكامه وبحلاله وحرامه، والعاملون بما فيه. وقال مالك: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه». اهـ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«يَجِيءُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»[3].

وقال الشاعر:

ألهاك النوم عن طلب الأماني ... وعن تلك الأوانس في الجنانِ
تعيش مخلدًا لا موت فيها ... وتلهو في الخيام مع الحسانِ
تنبه من منامك إن خيرًا ... من النوم التهجد بالقرانِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٥/١٤، وفي مواضع أخر) وغيره، وهو في «الصحيحة» (٧٥٠).

(٢) «التذكرة» (ص ٥٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩١٥)، وحسنه الألباني.

فصل
في منازل أهل العلم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[المجادلة:١١].

قال الشوكاني[١]: «﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ في الدنيا والآخرة، بتوفير نصيبهم فيهما، ﴿يَعُودُونَ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾؛ أي: ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة.

ومعنى الآية: أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ثم رفعه بعلمه درجات».

قال: «وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله».

---

(١) «فتح القدير» (١٨٩/٥).

وفي «فتح البيان»[1]: «عن ابن مسعود : ما خص الله العلماء في شيء من القرآن كما خصهم في هذه الآية.

وعنه أنه كان إذا قرأها قال: يا أيها الناس، افهموا هذه الآية، لترغبكم في العلم»

وفي «صفات الأبرار والمقربين»[2]: «من أول صفات أولياء الله تعالى الأبرار والمقربين «العلم»، وإلا كيف يسابقون إلى الله تعالى بالواجبات أو المستحبات، وترك المحرمات أو المكروهات، وهم لا يعرفون ما هي؟!

بل وكيف تصير كثير من المباحات في حق بعضهم طاعات يتقربون بها إلى الله تعالى دون العلم بأمر النيات والأحوال القلبية، فضلًا عن مراتب الأقوال والأعمال؟!

فأسبق السابقين أكثرهم علمًا وعملًا بالعلم، وأشرف العلوم العلم بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، وهو متضمن للعلم بأمره تعالى ونهيه، وبحسب هذا العلم والعمل به، والدعوة إليه، والصبر أثناء ذلك كله تكون درجة السبق».

---

(١) (١٤/٢٦-٢٧).

(٢) (ص ٢٤ - ٢٥).

فصل
في ذكر غرف الجنة
وصفة أهلها وترائي أهل الجنة إياهم

قال الله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ:٣٧].

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان:٧٥-٧٦].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ[١] الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ[٢] فِي الأُفُقِ[٣]، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ

---

(١) المعنى: أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إن أهل الدرجات العلى ليراهم مَن هو أسفل منهم كالنجوم، وقد بين ذلك في الحديث بقوله: «لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». «فتح».

(٢) (الغابر): الذاهب الماشي؛ أي : الذي تدلى للغروب وبعُد عن العيون. «نووي».

(٣) أي: السماء.

المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ».

قالوا يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال:

«بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ»[1].

قال القرطبي[2]: «اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض وأرفع».

قال: «وقوله: (والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين)؛ ولم يذكر عملًا ولا شيئًا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، ذلك ليُعلم أنه عنى الإيمان البالغ، وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات وأرفع الدرجات، وهذا محال، وقد قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا

---

(١) متفق عليه.

(٢) «التذكرة» (ص ٥٥٦).

صَبَرُواْ ﴾. والصبر: بذل النفس الثبات له وقوفًا بين يديه بالقلوب عبودية، وهذه صفة المقربين. وقال في آية أخرى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾. فذكر شأن الغرفة وأنها لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، ثم بين [أن] لهم جزاء الضعف وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة، وتعلق قلب به مطمئنًا به في كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، فإذا عمل عملا صالحًا فلا يخلطه بضده وهو الفاسد، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا، فلهذا كانت منزلته دون غيره». اهـ.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا». فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال:

«هِيَ لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ،

وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[1].

وقال الشاعر:

ألا يا عين ويحك أسعديني ... بغزر الدمع في ظلم الليـالي

لعلك في القيامة أن تفوزي ... بخير الدار في تلك العلالي

وقال غيره:

ألهتــك اللذائــذ والأمــاني ... عن الفردوس والظُّلل الدواني

ولذة نومة عن خير عـيش ... مع الخيرات في غرف الجنانِ

تيقظ من منامك إن خـيرًا ... من النـوم التهجـد بـالقرانِ

فصل
في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال:

«سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ،

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤ و٢٥٢٧) وغيره، وحسنه الألباني.

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟!

فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟

فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ. فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ. فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ.

قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

قال: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٧]. الآية(١)»(٢).

فصل
في صفة أول زمرة تدخل الجنة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ،

(١) وتمامها: ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩) وغيره.

وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الْحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لَا يَسْقَمُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الْأَلُوَّةُ؛ [الْأَلَنْجُوجُ[١]: عُود الطِّيب]، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ»[٢].

ولابن القيم:

هـذا وأول زمـرة فوجـوههم   كالبدر ليل الست بعد ثمانِ
السابقون هم وقد كانوا هنـا   أيضا أولي سبق إلى الإحسانِ
والزمرة الأخرى كأضوا كوكب   في الأفق تنظره به العينـانِ
أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسـ   ـك خالص يا ذلـة الحرمـانِ

* * * * *

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٣٦٧/٦): «هو العُود الذي يُتَبَخَّرُ به، ولفظ الْأَلَنْجُوجِ هنا تفسير الْأَلُوَّةِ، والعُود تفسير التفسير».

(٢) أخرجه البخاري (٣١٨/٦ و٣١٩ و٣٦٢ - فتح)، والزيادة له، ومسلم (٢٨٣٤)، وغيرهما.

خاتمة

اعلم أن الناظر في هذا الكتاب يظهر له جليًّا أن ما ذكره الشرع فيما يتعلق بالجهاد والاستشهاد، من بين الأمور الموصلة إلى الفردوس الأعلى، قد فاق ـ بعد الإيمان ـ سائر الأعمال والخصال، غير أن تلبية نداء النفير والجهاد، والاستجابة لداعي الفلاح والاستشهاد، لا يتم لأحد إلا بمعرفة عظمة الآخرة وبقائها ودوامها، ومعرفة خسة الدنيا وحقارتها، وفناء لذاتها وزوال أيامها، فيزهد فيها مؤثرًا عليها نعيم الآخرة الأبقى وفردوسها الأعلى.

وقد نبه ربنا تبارك وتعالى إلى هذا الأمر، مبينًا أن حب الدنيا والتعلق بها يُثْبِت صاحبَه ويقعده عن النفير في سبيل الله عز وجل، مقررًا خسة الدنيا وقلة متاعها في جنب الآخرة، فقال سبحانه:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة:٣٨].

قال السعدي: «أفليس قد جعل الله لكم عقولًا

تزِنون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟!

فما مقدار عمر الإنسان القصير جدًّا من الدنيا، حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وإرادته لا يتعدى الحياة الدنيا القصيرة، المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار؟!

فبأي رأي رأيتم إيثارها على الدار الآخرة، الجامعة لكل نعيم، التي فيها ﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١]؟!

فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة مَن وَقر الإيمان في قلبه، ولا مَن جَزَل رأيُه، ولا مَن عُدّ من أولي الألباب».

وفي «الطائف المعارف»: «أرضيتم بخرابات البلى من الفردوس الأعلى؟! يا لها صفقة غُبن! أتقنع بخسائس الحشائش والرياض معشبة بين يديك؟!».

وفيها: «يا دني الهمة! قَنِعت بروضة على مزبلة، والمَلك يدعوك إلى فردوسه الأعلى!». اهـ.

هذا، وبالله التوفيق، وسبحانك اللـهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه محمد شومان

الفهرس

❊ ❊ ❊ ❊ ❊